دلالة لغة الخطاب الشعبوي في السياسة العالمية

Title The significance of the populist discourse in world politics

د. سليم مزهود

تاريخ الاستلام: 21 / 02 / 2021 تاريخ القبول: 11 / 05 / 2021 تاريخ النشر: 20 / 06 / 2021

ملخص:

أسهمت عواطف الغضب الاجتماعي، وانعدام الثقة بالنخبة والمؤسسة، في تشجيع السياسيين والشخصيات الكاريزمية على استغلال هذا الوضع في تأسيس خطاب مشحون عاطفيًا، يسمى الخطاب الشعبوي، من خلاله يكون التأثير في المجتمع وتحريكه نحو تحقيق أهداف معينة، بصفتهم الشخصية الناطقة بلسان الشعب. وقد نجح القادة الشعبويون في التنفيس عن بعض هذه المشاعر بمختلف مستويات الوصف اللغوي.

يهدف هذا المقال إلى التعريف بالخطاب الشعبوي وأشكاله المختلفة، بين الإيجابية والعدائية، وتأثيره في السياسة العالمية، انطلاقا من الناحية النفسية للتعبير اللغوي عن الفكر العاطفي الشعبوي.

الكلمات المفتاحية: شعبوية؛ خطاب؛ عاطفة؛ شحن النفوس؛ اجتماعي اقتصادي؛ سياسة عالمية.

Abstract:

Emotions of social anger and lack of confidence in the elite and the establishment contributed to encouraging politicians and charismatic figures to exploit this situation in establishing an emotionally charged discourse, called populist discourse, through which the influence in society and its movement towards achieving certain goals, in their capacity as the people's mouthpiece. Populist leaders have succeeded in venting some of these sentiments at all levels of linguistic description.

This article aims to introduce the populist discourse and its various forms, between positivity and hostility, and its impact on global politics, starting from the psychological point of view of the linguistic expression of the emotional populist thought.

***key words**:* Populism; Speech; Charging Emotion; Socio-economic; global politics.

أستاذ محاضر (أ)، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة (الجزائر)، salimsimez@gmail.com

مقدّمة:

تقوم الشعبوية على إزاحة المفاهيم الراسخة منذ زمن طويل لقيمة الحكم في ظل سيادة القانون، وتستغل ظواهر القلق السوسيو اقتصادي وحالة انعدام الأمن أو ضعفه، بما قد يهدد الديمقراطية العالمية، لاسيما إن وصل الخطاب الشعبوي إلى الحاكم، وبخاصة في الدول القوية المتقدمة التي بإمكانها تغيير الكثير من الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العالم.

لطالما ارتبط مفهوم الشعبوية بدلالات اجتماعية وسياسية سلبية، وحقق أغراضا شخصية لقادة مثلوا أنفسهم أنهم صوت الشعب، ثم صاروا أكثر استبدادا من الاستبداد الذي حاربوه باسم الشعب، ومن المعروف أنّ بعض الشخصيات التاريخية البارزة التي تعتبر أشرف سمعةً من نظرائها الاستبداديين استغلت أيضا الميول والخصائص الشعبوية كوسيلة لكسب التأييد العام ورضا الجمهور.

إن التمرد الشعبوي ينطلق من إزاحة المفاهيم الراسخة منذ زمن طويل لقيمة الحكم في ظل سيادة القانون، نحن لا ننكر ضرورة محاربة الفساد في أي دولة، لكنّ المجتمع بحاجة إلى كفاءات علمية وسياسية تقوده بحكمة وليونة، وتكون قادرة على الإسهام في إصلاح النظام السياسي، ليس عن طريق شحن العواطف، بل من خلال الحكمة والتخطيط السياسي والاقتصادي والاجتماعي المحكم.

يعتمد المقال على المنهج الوصفي، في معالجة فرضية الخطاب الشعبوي، وجاذبيته، وتمتعه بالأداء الاندفاعي، من أجل تحريك الجمهور، على أساس حب الوطن والوطن للجميع، ونضع نصب أعيننا تكونه المفاجئ الناتج عن القلق الاقتصادي وانعدم الأمن، ولربما يكون هذا القلق مجردَ ادعاء وزعم، لإذكاء نيران التعصب والحقد والتحامل، ومن ثمّ تكوين شعارات تنادي في ظاهرها بالعدالة والحرب على الفساد، لكنّ باطنها يهدف للوصول إلى السلطة السياسية في المقام الأول.

والسؤال الذي نطرحه هنا: ما هو الخطاب الشعبوي، وما دوره في شحن الجمهور لتحقيق غاياته وأهدافه السياسية والمصلحية بالدرجة الأولى؟ وهل كل خطاب شعبوي بالضرورة هو خطاب عدائي؟ ماذا عن الوجه الإيجابي للشعبوية؟

إن هدف هذا المقال هو فهم الطبيعة العاطفية للشعبوية، بتحديد أسس الخطاب الشعبوي وجاذبيته للعواطف، حتى يكون مفعما بها، وبعد تعريفه وفهمه، نحدد مساره التاريخي، ثم نوضح أشكاله، في قسمين رئيسين متعارضين هما العدائية والإيجابية.

المبحث الأول: مفهوم الخطاب الشعبوي في ضوء تاريخ الممارسة السياسية

لقيت الشعبوية رواجا كبيرا في الوقت الحاضر من تاريخ العالم، لكنها ليست ظاهرة جديدة، سنبين في هذا المطلب مفهوم الشعبوية لغة واصطلاحا، ومفهوم الخطاب الشعبوي، ونتتبع مساره التاريخي بإيجاز.

المطلب الأول: تعريف الشعبوية

مع نمو الشعبوية في جميع أنحاء العالم، سيكون للوضوح المفاهيمي فيما يتعلق بطبيعتها وخصائصها أهمية كبيرة في تصميم استراتيجيات لمعالجتها. ومن ناحية أخرى، فإن عدم الوضوح لن يؤدي إلا إلى تقويض تلك الجهود، ولهذا نحاول في هذا المطلب ضبط مفهوم الشعبوية لغة واصطلاحا، وتعريف الخطاب الشعبوي.

1- تعريف الشعبوية لغة

شعوبي؛ اسم مفرد منسوب إلى شعوبية، وهو من يحطّ مِنْ قدْر العرب لاعتناقه مذهب الشعبوية، يقال: كان أبو نواس شاعرًا شعوبيا، والشعبوية: اسم مؤنَّث منسوب إلى شُعوب: على غير قياس "عمل على إنهاء الأوضاع الشعبوية في العراق"، ومصطلح (الشعبوية): مصدر صناعيّ من شُعوب: نزعة ظهرت في العصر العباسيّ تنكر تفضيل العرب على غيرهم وتحاول الحطّ منهم وتفضّل عليهم العَجَم[1].

ورد في لسان العرب أنّ: "الشعوب غلبت بلفظ الجمع، على جيل العجم، حتى قيل لمحتقر أمر العرب شعوبيّ، وأضافوا إلى الجمع لغلبته على الجيل الواحد، كقولهم أنصاري، والشعوبي؛ هو الذي يصغِّر شأن العرب ولا يرى لهم فضلا على غيرهم"[2].

وورد في البيان والتبيين للجاحظ مصطلح الشعبوية، في قوله: "إنّك متى أخذت بيد الشُّعوبي فأدخلته بلاد الأعراب الخلّص، ومعدن الفصاحة التامة، ووقفته على شاعر مفْلِق، أو خطيب مِصْقع، علم أنّ الذي قلت هو الحق ... فهذا فرق ما بيننا وبينهم. فتفهَّم عني فهَّمك الله ... ثم اعلم أنك لم تَر قوًما أشقى من هؤلاء الشعبوية، ولا أعدى على دينه، ولا أشد استهلاكا لعِرضه ولا أطول نصبا، ولا أقل غُنْما من هذه النِّحْلة[3].

وأورد ابن قتيبة في كتاب العرب أو الرد على الشعبوية، قوله: " أعاذنا من فتنة العصبية وحمية الجاهلية وتحامل الشعبوية فإنها بفرط الحسد ونغل الصدر تدفع العرب عن كل فضيلة، وتلحق بها كل رذيلة، وتغلو في القول وتسرف في الذم، وتبهت بالكذب وتكابر بالعيان، وتكاد تكفر ثم يمنعها خوف السيف... ولَم أَرَ في هذه الشعوب أرسخ عداوة ولا أشد نصًبا للعرب من السفلة والحشوة وأوباش النبط وأبناء أكرة القرى، فأما أشراف العجم وذوو الأخطار منهم وأهل الديانة فيعرفون ما لهم وما عليهم ويرون الشرف نسبا ثابتا "[4].

أما في غير العربية، فتعرف الشعبوية على أنها المجموعات السياسية والأفراد الذين يوجهون النداءات للشعب ثم يعارضون هذه المجموعة مع النخبة[5].

1- أحمد مختار عمر، ***معجم اللغة العربية المعاصرة***، بيروت، عالم الكتب، 2008، ص1204

2- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، ***لسان العرب***، دار صادر، بيروت، 2003م، ص403

3- الجاحظ أبو عثمان بن عمر، ***البيان والتبيين***، ج3، ط7، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1998، ص29-30

4- محمد كرد علي، ***رسائل البلغاء، كتاب العرب أو الرد على الشعبوية لابن قتيبة***، مصر، دار الكتب العربية الكبري، 1913، ص269

5 -Duncan McDonnell & Luis Cabrera, ***The right-wing populism of India's Bharatiya Janata Party and why comparativists should care***. UK, Democratization Journal, 2019, p. 487

وقد عرّف العالم السياسي كارلوس دي لا توري Carlos de la Torre الشعبوية بأنها إيديولوجية تحرض شعبًا فاضلًا ومتجانسًا ضدّ مجموعة من النخب وآخرين خطرين يوصفون بأنهم يحرمون أو يحاولون حرما الشعب ذي السيادة من حقوقه وقيمه وازدهاره وهويته وصوته[6]

وعرّف الشعبوية مودي وروفيرا كالتوسر Cas Mudde, Cristóbal Rovira Kaltwasser، على أنها نوع من من الخرائط الذهنية التي يحلل الأفراد من خلالها الواقع السياسي ويدركونه، فهي أخلاقية لا تصويرية، وتحرض على تقسم الجميع إلى أصدقاء وأعداء، إذ لا ترى الناس مجرد أشخاص يمتلكون أولويات وقيما مختلفة، بل أشرارا أو أخيارا، والأخلاق الخيّرة بالنسبة للشعبوية هي في التأكيد على نقاء المرء ضد فساد النخبة ولا أخلاقيتها، إذ ينبغي أن يبقى الشعب نقيّا منها ويمنأى عنها، وتمنع الشعبوية التسوية بين مختلف المجموعات[7].

أما مايكل كازين Michael Kazin فيرى أنّ الشعبوية هي "عقيدة، أو أسلوب، أو استراتيجية سياسية، أو حيلة تسويقية، أو مزيج ما مما تقدم[8]

ومن ناحية أخرى، يعرّف كاس مود Cas Mudde الشعبوية بأنها "أيديولوجية تعتبر المجتمع منقسما في نهاية المطاف إلى مجموعتين متجانستين ومتعاديتين، (الشعب النقي) مقابل (النخبة الفاسدة)، وتذهب إلى أنّ السياسة ينبغي أن تكون تعبيراً عن الإرادة العامة للشعب[9]

2- تاريخ مصطلح (الشعبوية):

بدأت الشعبوية في الظهور عند العرب، في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي، واستمرت طوال فترة العصر الأموي، حتى قويت في العصر العباسي على خلفية الصراع حول الأحقية بالخلافة، وقد طالت الشعبوية بقية الأمم كالفرس، والأندلسيين وأهل إفريقيا، في عدائها ضد العرب الأصليين، قال الجاحظ في رسالته: (فخر السودان على البيضان): "إن الشعبوية لم تكن تشيّع بين الفرس فحسب، وإنما طالت بقية الأمم، كالأندلسيين والزنج من أهل إفريقيا ... واجتمعوا -هؤلاء- على العداء للعرب والاستطالة عليهم والحطّ من شأنهم"[10].

6 -Carlos de la Torre, ***Populism and Nationalism in Latin America***, UK, Javnost -The Public, Journal of the European Institute for Communication and Culture, 2017, p.195

7-Cas Mudde, Cristóbal Rovira Kaltwasser, ***Studying Populism in Comparative Perspective: Reflections on the Contemporary and Future Research Agenda***, Oxford, Comparative Political Studies, 2018, p.6

8- Michael Kazin, ***Trump and American populism: old whine, new bottles***, USA, Foreign Affairs, vol. 95, No. 5 (November/December 2016).

9- Cas Mudde, ***The populist Zeitgeist***, USA, *Government and Opposition*, vol. 39, No. 4 (September 2004), p. 543

10- الجاحظ أبو عثمان بن عمر، ***ثلاث رسائل للجاحظ***، ليدن، هولندا، مطبعة بريل، 1903، ص51.

يبدو أن كلمة الشعبوية Populism قد استعملت لأول مرّة في القرن التاسع عشر، لوصف حركات سياسية محددة[11]، حيث نشأت في أواخر ستينيات القرن التاسع عشر حركة سياسية تحمل اسم الشعبوية لفظا ومعنى، وهي الحركة الشعبوية الروسية Narodnichestvo ؛ فهي حركة لطلاب ومثقفين ثوريين نظروا نظرة مثالية إلى الفلاحين الريفيين، وذهبوا إلى أنهم ينبغي أن يكونوا أساس الثورة القادمة للإطاحة بالحكم القيصري. وفي إطار التطور التاريخي للشعبوية، نشأت حركة سياسية أخرى تحمل الفكر الشعبوي، هي الحركة الزراعية في الولايات المتحدة الأمريكية في تسعينيات القرن التاسع عشر، التي تحولت في نهاية المطاف إلى حزب سياسي، اسمه: حزب الشعب، وقد تشكلت تلك الشعبوية لمعارضة إلغاء الفِضّة كعُملة، وناصرت صعود الشكوك الشعبية حول السكك الحديدية والبنوك والمصارف[12].

لقد أدّت الشعبوية دورا كبيرا في تحفيز الكثير من الأحداث العالمية التي أشعلت الحروب بين دول العالم، ومنها الحرب العالمية الثانية، بخطابات هتلر وستالين، إذ كانت هذه الخطابات تحريضية، مليئة بالعنصرية، ضد اللاجئين والمهاجرين وبعض الأديان كالإسلام واليهودية.

إن لمصطلح الشعبوية تماثلا وتشابها مع العديد من المصطلحات التي تحمل كثيرا من معانيه المشتركة، ومنها القومية العرقية، التي تميزت بالعنصرية ومعاداة السامية، وكانت قراراتها تعسفية[13].

ولم تتخذ كلمة الشعبوية معنى أوسع استخداما إلا في خمسينيات القرن العشرين، إذ "أصبحت الكلمة مرتبطة بظواهر متنوعة كتنوع الحركات السياسية الداعمة للزعماء ذوي الشخصية المثيرة، أو أصحاب الكاريزما[14]"، نحو الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، وبعض زعماء الشيوعية الحديثة في شمال آسيا وأمريكا الجنوبية.

ذلك أنهم رأوا الشعبوية هي أفضل تعبير سياسي عن القلق والغضب لديهم، لتحقيق ما يرغبون فيه ورفض الواقع الذي لا يمثّل أفكارهم أو أفكار من سبقوهم من آبائهم أو انتماءاتهم[15].

وقد استعمل مصطلح الشعبوية لوصف الحركات السياسية الناتجة عن الأزمات الاقتصادية أو التحول الاجتماعية المتسارعة، إذ كان يقودها قادة مؤثرون وشجعان ولديهم الجرأة، وغالبا لا تهمهم العواقب، ويعرفون كيف يستنفرون الناس، بشعارات عامة تستند إلى إيديولوجيات عنصرية أو طبقية، لتحقيق أهدافهم دون وضع برامج سياسية واضحة.

وغالبا حين ينجح الغضب الشعبوي في الإطاحة بنظام الحكم، يتحول إلى نظام شمولي متطرّف، على نحو حدث لألمانيا النازية، وبروسيا الستالينية، حيث سيطر هتلر وستالين على الناس انطلاقا من إيديولوجية متطرفة

11- Cristóbal RoviraKaltwasser and others, ***Populism: an overview of the concept and the state of the art***, Oxford, Oxford University Press, 2017, p. 2
12- Jordan Kyle and Limor Gultchin, ***Populism in power around the world***, London, Tony Blair Institute for Global Change, November 2018, pp. 5-6
13- Hannah Arendt, ***The Origins of Totalitarianism*** , New York, Meridian Books, 1958, p. 241
14- Jordan Kyle and LimorGultchin, Op.cit, p.6
15- Ibid, p.7

وعنصرية تعطي لنفسها التزكية وحق القيادة وترى الغير رعاع ومجرّد همج، كما أن الزعماء الشعبويين قد استغلوا قلق بعض المجتمعات المدنية بخصوص فساد هيكل النظام أو انهياره، سواء أكان ذلك حقيقة أم مجرّد توهّم، فبثوا في الجمهور أنّ العالم حولهم آخذ في الانهيار[16].

إنّ نظرة الجمهور المتلقي وشعوره بأنّ العالم بدأ في الانهيار، هو ردّة فعل من نوع خاص على الاضطرابات الاجتماعية التي أحدثتها العولمة، ومن المهم في هذا السياق ملاحظة أن البعض قد ادعى أن الصور الأحدث للشعبوية قد تصاعدت نتيجة عوامل تمثلت في: الشعور بخيبة الأمل من طبيعة التمثيل السياسي والمشاركة السياسية، وظهور أنواع جديدة من التهميش الاجتماعي والوجود غير المستقر للحداثة الرأسمالية، وحالة الإحباط إزاء عدم وفاء الدولة بوعودها فيما يخص تحسين الظروف المادية وظروف التعليم وفرص العمل. وعلى الرغم من أن الشعور بخيبة الأمل كان سببا للعنصرية المستمرة تاريخيا والراسخة الجذور في بعض الدول وبعض فئات السكان، لكن لا يمكن استبعاد أن تكون تلك العنصرية قد خلّفت أثرا في تحريك المتجمع وتحقيق بعض الإيجابيات، على الرغم مما يطرأ على ذلك الأثر من انحسار أو امتداد[17].

4-تعريف الخطاب الشعبوي

من غير الواضح ما إذا كان الخطاب الشعبوي مجرّدَ خطاب، أم أنه إستراتيجية للتعبئة السياسية والثقافية والاقتصادية، أم هو شيء يمتدّ إلى ما هو أبعد من ذلك، بحيث يجعل الشعبوية ظاهرة أكثر دوامًا، كشكل من أشكال الأيديولوجية السياسية أو القومية[18].

المبحث الثاني: أشكال الخطاب الشعبوي في الممارسة السياسية

بالرغم من أن الأشكال المعاصرة للشعبوية تتشابك مع الدوافع السياسية اليمينية، فإنّ تركها عند هذا الحد من شأنه أن يقدم سردا منحرفا وغير مكتمل للظاهرة، والواقع أن هناك العديد من الظلال المختلفة للشعبوية، قال ديفيد مولوي، "يمكن للأحزاب الشعبوية أن تكون في أي مكان على امتداد الطيف السياسي خارج اليمين، ومع ذلك فإنّ أكثر الشعبويين اليوم موجودون على الجهة اليمنى، ولا سيما جهة اليمين المتطرف، وعلى هذا الأساس فإذا نظرنا إلى الشعبوية خارج الإطار اليميني المتطرفة، فقد نجد شعبوية دستورية ويسارية، وهناك أنواع عديدة للشعبوية أبرزها: الشعبوية الزراعية، والاجتماعية الاقتصادية، والكارهة للأجانب، والرجعية، والسلطوية، والتقدمية، والخيط الذي يجمع بين هذه الأنواع من الشعبوية هو في الغالب الشعور العدائي تجاه النخب، وهو أمر يكتنفه الغموض في بعض

16- Camille Nessel, ***Populism through the eyes, now and then*** , *Eyes on Europe The Student Magazine*, 21 October 2016:على الرابط ،www.eyes-on-europe.eu/populism-through-the-eyes-of-hannah-arendt-now-and-then/

17- Serge Ricard, ***The Trump phenomenon and the racialization of American politics,*** USA, Revue LISA, vol. 16, No. 2 (2018), pp. 1–28

18- Kurt Weyland,***Populism's threat to democracy***, United States, comparative lessons, Perspectives on Politics, vol. 18, No. 2 (June 2020), p.2

الأحيان ويمكن أن يبسر كثيرا استخدام الشعبوية كأداة لدى أي نوع من أنواع الأيديولوجيات تقريبا، سواء أكانت أيديولوجية يسارية أو يمينية"[19]

وهكذا، وحسب التعريف السابق، نرى أنّ الشعبوية تشبه الحرباء، التي دائما ما تتلون بحسب البيئة التي تكون فيها، مما يوحي بأن الشعبوية ليس لها قيم أساسية، فهي إيديولوجية نحيلة جدا.

المطلب الأول: الشعبوية الإيجابية

بالرغم من عدائية الشعبوية ضد النخبة والرأسمالية والنظام الحاكم أو المعارض في كل أحواله، فإنها لها ميزات إيجابية في الظاهر، أو فلنقل أنّ بعض أنواعها يحمل مظاهر إيجابية، نستعرض في هذا المطلب هذه المظاهر:

1- الشعبوية تمثل الشعب

تظهر الشعبوية أنها تخدم إرادة الشعب الأصل، وترى أنها تقصد بالغرباء أولئك الذين يخالفون العرف العام والحق بحسب مفهومها، وليس بالضرورة أن يكونوا من المهاجرين أو ذوي الأصول الأجنبية، وتنطلق الشعبوية في بثّ إيديولوجيتها من فكرة أن إرادة الشعب الأصيل لا يقيّدها أو يحدّها أيّ شيء[20].

وللتوضيح، فإنّ الشعبوية كمفهوم لا تعني بالضرورة فكرة القومية، بالرغم من تقاطعها الفكري معها في مسألة الإقصاء، وترى الشعبوية أنها تمثل إرادة الشعب في أي قضية تطرحها على الساحة، وأنها ضدّ النخبة بسبب أنها تمثل نفوذا مكتسبا بشكل غير شرعي، ولم يرجع إلى الشعب[21].

2- مناداة الشعبوية بحق الإنسان

تنادي الشعبوية بحق الإنسان، ولكنها ترى أنه عليه أن يقتصّ الحقّ بنفسه، بدل اللجوء إلى المحاكم، ويبدو أن هذا الطرح في ظاهره شيء إيجابي بحيث لا يفرط الإنسان في حقه، وأنّ كل حق وراءه طالب، وفيه قيمة المقاومة من أجل نيل الحق، لكن عدم اللجوء إلى القانون والمحاكم من شأنه أن يدخل المجتمع في فوضى، إضافة إلى طغيان الأقوى لأنه بقوته، ولذلك سماها ديفيد مولوي David Molloy : إهانة سياسة مختزلة[22].

المطلب الثاني: الشعبوية العدائية

يبدو من خلال مصطلح الشعبوية في حد ذاته أنه يحمل معنى الفوضى وعدم الاعتراف بالتنظيم المؤسس والمحكم، وهذه من أبرز سلبياتها، وبالتالي فإن الشعبوية تقوم على معاداة النظام والقانون، وتستمدّ سلطتها من هوى النفوس، وقد ازداد حدة العداوة الشعبوية في العالم منذ التسعينيات حيث شهد العالم عولمة اقتصادية ومالية هائلة، إلى جانب تحرير التجارة، مما أدى إلى خلق عالم على شكل قرية كونية مترابطة بين بعضها البعض.

19- BojanBugaric, ***The two faces of populism: between authoritarian and democratic populism***, German Law Journal, vol. 20 (3) (2019), p. 392
20- Jordan Kyle and Limor Gultchin, Op.cit, p.13
21- Benjamin De Cleen, ***Populism and nationalism***, Oxford Handbook of Populism, p.242
22- David Molloy, ***What is populism, and what does the term actually mean?,*** BBC News, 6 March 2018, p.4

1- سمات الشعبوية العدائية

يرى الباحثان جوردن كايل Jordan Kyle ، وليمور غولتشين Limor Gultchin من جامعة أكسفورد أنّ هناك ثلاثة أنواع من الشعبوية هي: الشعبوية الثقافية والشعبوية الاجتماعية الاقتصادية والشعبوية المناهضة للمؤسسات القائمة. ويسمى الأشخاص الرئيسيون في الشعبوية الثقافية أنفسهم: (الأعضاء الأصليين) في دولة قومية، ويطلقون على الناس من غير أهل البلد، وأصحاب رؤوس الأموال وبخاصة الأجانب الذين يستثمرون في بلادهم، لفظة (الآخرون)، وأحيانا (المجرمون)، وأحيانا (الأقليات العرقية والدينية)، وتركز الشعبوية الثقافية على رفض التقليد الديني والقانون والنظام كما هو عليه، ولها فلسفة في السيادة الوطنية، التي ترى أنّ الشعب هو صاحب السيادة، يغيّر متى يشاء ويكون هو فوق القانون، وتستهدف هذه الشعبوية المهاجرين وتصفهم بالأعداء[23]. أما الشعبوية الاجتماعية الاقتصادية فكانت نتيجة الأزمة الاقتصادية العالمية التي ضربت العالم بالخصوص أوروبا وأمريكا الشمالية في عام 2008م، إلى جانب فقدان العديد من فرص العمل، مما نتج عنه تفاقم الفكر الشعبوية وزيادة حدة الخطاب الشعبوي في تلك البلدان، حيث نجح الخطاب العاطفي العدائي الشاحن، في استغلال الشعور بخيبة الأمل من الأنظمة والقوانين، وخلق زوال الطبقات العاملة والمتوسطة قلقا ثقافيا في العديد من الدول القومية[24]، وبالتالي زادت حدة الشعبوية في نصب العداء للمؤسسات القائمة، لأنها سبب القوانين التي أدت إلى الأزمات الاجتماعية والاقتصادية.

2- عدائية ضد الرأسمالية

يرى زعماء الشعبوية الاجتماعية والاقتصادية أنفسهم أعضاء مجدين مخلصين في الطبقة العاملة لا تحد نشاطهم أي حدود وطنية أو غير وطنية، وبحسب فهمهم يتكّون (الآخرون) من مؤسسات الأعمال الكبرى وأصحاب رؤوس أموال والقوى الأجنبية والإمبريالية العالمية التي تدعم النظام الرأسمالي الدولي، في حين أن موضوعاتهم الرئيسة هي معاداة الرأسمالية، والتضامن مع الطبقة العاملة، واعتبار المصالح التجارية الأجنبية من الأعداء.

ويرى الشعبويون المناهضون للمؤسسات القائمة أنفسهم بأنهم ضحايا بشكل مباشر أو غير مباشر لهذه المؤسسات التي قامت على مصالح خاصة وضيقة، ولذلك يرفعون شعارهم بتطهير الدولة من الفساد وتنصيب قيادة قوية لتنفيذ الإصلاحات العاجلة[25].

وبالرغم من أنذ النظام الرأسمالي العالمي، مكّن ملايين الأشخاص في جنوب الكرة الأرضية من الخروج من دائرة الفقر ورفَع مستوى المعيشة بالنسبة للكثيرين، لكنه استفاد من الأموال والسلع والخدمات بشكل مبالغ فيه، واستفاد من خلاله أشخاص معينون من امتيازات مالية كبيرة، وأهمل العديد من أصحاب الحقوق، وقام بتوزيع الثروة والدخل بشكل غير متكافئ، ليس فقط في بلدان العالم الثالث فحسب، بل أيضا في البلدان المتقدمة، حيث طرأت خسارة في نمو الدخل لدى الطبقة المتوسطة في العالم المتقدم، ولم يستطع إنقاذ المناصب المالية لكثير من أصحاب الطبقة

23- Jordan Kyle and LimorGultchin, Op.cit, p.13
24- Ian Bremmer, Us vs. Them: ***The Failure of Globalism*** , New York, Portfolio Penguin, 2018, pp.20-21
25- Wolfgang Muno, ***Populism in Argentina***, Stockemer., Populism Around *the* World, p.12

الفقيرة أو المتوسطة ممن فقدوا وظائفهم، خلال تفاقم جائحة كوفيد 19 الحالية، وأدى ذلك أيضا إلى تضخّم الفوارق الاقتصادية وفوارق الثروة[26].

3- الشعبوية المتطرفة

تتصف الشعبوية اليمينة بالتطرف أكثر من الشعبوية اليسارية، إذ إنها ترى بعدم انتمائها للمؤسسات القائمة، وتعمل على القطيعة معها، وتتطلع إلى بدائل مغايرة تماما.

والشعبوية اليمينية، وتسمى أيضًا الشعبوية القومية أو القومية اليمينية هي أيديولوجية سياسية تجمع بين سياسات اليمين والخطابة والمواضيع الشعبوية، وكثيرًا ما يتألف الخطاب الشعبوي من الآراء المعادية للنخبوية، ومعارضة المؤسسة الحاكمة، والتحدث إلى عامة الشعب، وتدعم الشعبوية اليمينية بشدّة الضوابط الصارمة المفروضة على الهجرة والمهاجرين[27].

ويستخدم مصطلح الشعبوية اليمينية في أوروبا لوصف المجموعات والسياسيين والأحزاب السياسية المعروفة، بمعارضتها الهجرة وبخاصة الهجرة من العالم الإسلامي بالدرجة الأولى، وتناهض العولمة والقومية الجديدة، وتدعم دولة الرفاهية، بشرط حرمان المهاجرين غير الشرعيين من الحصول على إعانات حكومية[28].

تأسست الأحزاب الشعبوية اليمينية في الهيئات التشريعية للديمقراطيات المختلفة ابتداءً من تسعينيات القرن العشرين، وبالرغم من أنّ حركات اليمين المتطرف في الولايات المتحدة التي يُشار إليها عادة باسم اليمين الراديكالي قد جرت دراستها على نحو مستقل، فإن بعض الكتاب يعتبرونها جزءًا من ظاهرة الشعبوية اليمينية، وترتبط الشعبوية اليمينية في الولايات المتحدة أيضًا ارتباطًا وثيقًا بالمحافظين الأصليين[29].

4- الشعبوية الرجعية

تركز العديد من التقييمات السلبية للأشكال الأكثر حداثة للشعبوية على إظهار مدى سوئها بالنسبة للديمقراطية، إذ يكتسب الشعبويين عادةً الظهور السياسي باعتمادهم على التلاعب بهياكل الديمقراطية ومؤسساتها، وبما أن العديد من القوى الشعبوية ترغب في المصادقة بأي ثمن على السيادة الشعبية على أنها بحسب فهمهم تشكّل الأغلبية المطلقة، فإن الشعبوية تتغلب على النظام الديمقراطي الليبرالي، وبخاصة يتعلق الأمر بالدفاع عن حقوق الأقليات والهيئات الدستورية المستقلة والتضامن الدولي القائم على حقوق الإنسان[30]

26- Boaventura de Sousa Santos, ***Globalizations, Theory***, USA, Culture and Society, vol. 23, Nos. 2–3 (2006), p. 393

27- Akkerman, Agnes, ***Populism and Democracy: Challenge or Pathology?***, USA Acta Politica 2003n.38, pp.147-159

28- Haydn Rippon,***The European far right: actually right? Or left? Or something altogether different?***, USA,The Conversation Academic rigor, journalistic flair ,2014, p. 5

29- Jeffrey Kaplan and Leonard Weinberg, ***Emergence of a Euro-American Radical Right***. New Brunswick, NJ: Rutgers University Press, 1998, pp.1-2

30- Cristóbal RoviraKaltwasser, ***Scholars should not just assume that populism is bad for democracy, but should instead concentrate on explaining populism's positive and negative effects***: https://blogs.lse.ac.uk/europpblog/2012/10/15/populism-and-liberal-democracy/

وإذا كان التضامن الدولي القائم على حقوق الإنسان متلازما مع التنسيق والعمل المشترك من جانب الدول والجهات الفاعلة من غير الدول على حد سواء لمعالجة الأزمات والتحديات العالمية المحتملة أو القائمة، فهو نقيض الشعبوية الرجعية التي تلتزم بإقامة المزيد من الحدود التي تفصل بين الشعوب وبعزل الشعوب بعضها عن بعض على أساس فوارق مقررة من قبل، بما في ذلك اللون والدين والعرق».

إنّ الشعبوية الرجعية تتعارض مع التعاون الدولي وتزدري العولمة، ففي التسعينيات على وجه الخصوص، كان العديد من الدول والمحامين الدوليين يتوقعون أن يكون إعلان بعض المفاهيم القانونية وأحكام القانون الدولي وتنفيذها بصورة تعاونية، بما يشمل سيادة القانون والحق في الحوكمة الديمقراطية، أمرا مهما وأساسيا لإقامة عالم عادل ومناصر لحقوق الإنسان، وهكذا، فإن المعايير والمؤسسات العالمية لحقوق الإنسان المتفق عليها عالميا، على الرغم من المشاكل التي تواجهها، كان يُنظر إليها على نطاق واسع على أنها نظم تعزز - أو يمكن أن تعزز - مصالح المجتمع العالمي على أساس فهم مشترك للتضامن الدولي، لكن حدث تراجع لهذا الإعلان، بسبب تنامي الشعبوية الرجعية التي تتناقض بشدّة مع هذه الفضائل التي تخدم حقوق الإنسان والتضامن الدولي لأجل هذه الحقوق، إذ رفضت الشعبوية الرجعية معايير حقوق الإنسان المتفق عليها دوليا، واستخفت بها، وعملي على تقويض التضامن الدولي القائم على حقوق الإنسان[31].

الخلاصة

تمثل الشعبوية، لاسيما في شكلها الرجعي، تهديدا كبيرا على التضامن الدولي القائم على حقوق الإنسان للجميع، إذ يتعرض باستمرار للهجوم في خطاب زعماء الشعبوية وأبرز ممارسيها. وازادا الوضع سوءا لتعرض مجال حقوق الإنسان إلى تراجع كبير بسبب جائحة كوفيد-19 العالمية، التي أدت إلى فرض قيود شديدة على حقوق الإنسان في المجال الاجتماعي والاقتصادي على وجه الخصوص، إلى درجة انسحاب كثير من المؤسسات الخيرية وأصحاب الأموال من ممارسة التضامن الدولي بسبب الأزمة، ناهيك عن ما تشكّله الشعبوية الرجعية من تهديدات لحقوق الإنسان دون استثناء، فالحق يفترض أن يكون مكفولا للإنسان بغض النظر عن جنسه ولونه وعرقه ومكانته الاجتماعية والمادية.

في آخر المقال نقدم اقتراحات للتعامل مع الشعبوية، والحفاظ على استقرار الأوطان والمجتمعات، فيما يأتي:

- ضرورة الاعتراف الصريح بخطر الشعبوية الرجعية في استقرار الأمن والسلام العالميين.
- تعزيز مجال حقوق الإنسان في مختلف المؤسسات الحكومية وغير الحكومية.
- ضرورة وضع ميثاق أخلاقيات الأحزاب السياسية، بعدم الانجرار نحو ما من شأنه زعزعة الاستقرار، ورفض كل أشكال التفرقة، والتزام مبادئ حقوق الإنسان.
- ضرورة أن تقوم وسائل الإعلام بدورها الهام في التصدي لأشكال التعبير الشعبوية الرجعية، وبالتالي التقيد بميثاق أخلاقيات الصحافة والإعلام.

31- Berlin Potsdam Research Group, ***The international rule of law – rise or decline?*** نُشر في . European Journal of International Law,2019, vol. 30, No. 3, p.9

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: باللغة العربية

أ- الكتب

1) أحمد مختار عمر، ***معجم اللغة العربية المعاصرة***، بيروت، عالم الكتب، 2008.
2) الجاحظ أبو عثمان بن عمر، ***البيان والتبيين***، ج3، ط7، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1998.
3) الجاحظ أبو عثمان بن عمر، ***ثلاث رسائل للجاحظ***، ليدن، هولندا، مطبعة بريل، 1903.
4) مُحَمَّد كرد علي، ***رسائل البلغاء، كتاب العرب أو الرد على الشعبوية لابن قتيبة***، مصر، دار الكتب العربية الكبري، 1913.
5) منظور، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، ***لسان العرب***، دار صادر، بيروت، 2003م.

المواقع الالكترونية:

1) Camille Nessel, Populism through the eyes, now and then , Eyes on Europe The Student Magazine, 2020جويلية31 بتاريخ 21 أكتوبر 2016، واطلع عليه بتاريخ
www.eyes-on-europe.eu/populism-through-the-eyes-of-hannah-arendt-now-and-then/.
2) Cristóbal RoviraKaltwasser, Scholars should not just assume that populism is bad for democracy, but should instead concentrate on explaining populism's positive and negative
effects :https://blogs.lse.ac.uk/europpblog/2012/10/15/populism-and-liberal-democracy/ بتاريخ 15 أكتوبر 2012، واطلع عليه بتاريخ 16 أوت 2020

ثانيا: باللغة الأجنبية

A/les ouvrages

1) Akkerman, Agnes, ***Populism and Democracy: Challenge or Pathology?***, USA Acta Politica 2003 n.38.
Benjamin De Cleen, ***Populism and nationalism***, Oxford Handbook of Populism
2) Berlin Potsdam Research Group, ***The international rule of law – rise or decline?*** European Journal of International Law,2019, vol. 30, No. 3
3) Boaventura de Sousa Santos, ***Globalizations, Theory***, USA, Culture and Society, vol. 23, Nos. 2–3 (2006).
4) Bojan Bugaric, ***The two faces of populism: between authoritarian and democratic populism***, German Law Journal, vol. 20 (3) (2019)
5) Carlos de la Torre, ***Populism and Nationalism in Latin America***, UK, Javnost -The Public, Journal of the European Institute for Communication and Culture, 2017.
6) Cas Mudde, Cristóbal Rovira Kaltwasser, ***Studying Populism in Comparative Perspective: Reflections on the Contemporary and Future Research Agenda***, Oxford, Comparative Political Studies, 2018.
7) Cas Mudde, ***The populist Zeitgeist***, USA, *Government and Opposition*, vol. 39, No. 4 (September 2004).

8) Cristóbal RoviraKaltwasser and others, ***Populism: an overview of the concept and the state of the art***, Oxford, Oxford University Press, 2017

9) David Molloy, ***What is populism, and what does the term actually mean?,*** BBC News, 6 March 2018.

10) Duncan McDonnell & Luis Cabrera,***The right-wing populism of India's Bharatiya Janata Party and why comparativists should care***. UK, Democratization Journal, 2019

11) Hannah Arendt, ***The Origins of Totalitarianism*** , New York, Meridian Books, 1958.

12) Haydn Rippon,***The European far right: actually right? Or left? Or something altogether different?***, USA,The Conversation Academic rigor, journalistic flair ,2014.

13) Ian Bremmer, Us vs. Them*:* ***The Failure of Globalism*** , New York, Portfolio Penguin, 2018.

14) Jeffrey Kaplan and Leonard Weinberg, *Emergence of a Euro-American Radical Right*. New Brunswick, NJ: Rutgers University Press, 1998.

15) Jordan Kyle and Limor Gultchin, ***Populism in power around the world***, London, Tony Blair Institute for Global Change, November 2018.

16) Kurt Weyland,***Populism's threat to democracy***, United States, comparative lessons, Perspectives on Politics, vol. 18, No. 2 (June 2020).

17) Michael Kazin, ***Trump and American populism: old whine, new bottles***, USA, Foreign Affairs, vol. 95, No. 5 (November/December 2016).

18) Serge Ricard, ***The Trump phenomenon and the racialization of American politics,*** USA, Revue LISA, vol. 16, No. 2 (2018).

19) Wolfgang Muno, ***Populism in Argentina***, Stockemer., Populism Around *the* World, n.d.

المواقع الالكترونية:

1) Camille Nessel, ***Populism through the eyes, now and then*** , *Eyes on Europe The Student Magazine*, بتاريخ 21 أكتوبر 2016، واطلع عليه بتاريخ31جويلية2020
www.eyes-on-europe.eu/populism-through-the-eyes-of-hannah-arendt-now-and-then/

2) Cristóbal RoviraKaltwasser, ***Scholars should not just assume that populism is bad for democracy, but should instead concentrate on explaining populism's positive and negative effects***: https://blogs.lse.ac.uk/europpblog/2012/10/15/populism-and-liberal-democracy/ بتاريخ 15 أكتوبر 2012، واطلع عليه بتاريخ 16 أوت 2020